﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ١١٩﴾ [طه: 118 - 119]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

تبيانُ أنواعِ من الشَّقاء الَّتي لا عَهْدَ لآدم بها في الجنَّة بعد تحذيره من أسبابه

لمّا ذَكَرَ الله تعالى في الآية السّابقة تحذيرَه لآدم عليه السلام منَ الانسياق وراء الشَّيطان، وأنَّه لو أطاع إبليس فسيخرج منَ الجَنَّة ويشقى، ولمّا كان الشَّقاء بالنِّسبة لآدم عليه السلام غير معروف، لعدم عهده به؛ بَيَّنَ الله تعالى له هُنا أنواعًا من الشَّقاء الَّتي لا عهد له بها في الجنَّة، فقال له: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ﴾، فلمّا امتنَّ الله تعالى عليه بهذه النِّعم في الجنَّة، كان ذلك بيانًا؛ لأنَّ الشَّقاء الَّذي سيلاقيه لو خرج منها عَكْسَ ذلك، فعلَّل شقاوة آدمَ على تقديرِ الإخراجِ من الجنَّة، بوصفِها بما لا يوجدُ في غيرِها من الأقطابِ الّتي يدورُ عليها كفافُ الإنسانِ، وهي الشَّبعُ والرّيُّ والكسوةُ والكنُّ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَضۡحَىٰ﴾: مضارع ضَحيَ: كرضي؛ إذا أصابه حرُّ الشَّمس في وقت الضُّحى، ومصدره الضَّحو، وحرُّ الشَّمس في ذلك الوقت، هو مبدأ شِدَّته[2]، والضُّحَى: انبساطُ الشَّمسِ، وامتِدادُ النَّهارِ، وأصلُ (ضحي): يدُلُّ على بروزِ الشَّيءِ[3]، وقَوله: ضحا ظلُّه، أي: صار شمسًا، وإذا صار الظِّلُّ شمسًا؛ فقد بَطل صاحبه، وإنَّما أرادَ أنَّه ماتَ، يُقال: ضحا الرَّجل يُضحي؛ إذا صار في الشَّمس، ومِنْه قَول

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 357.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 16/ 322.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضحى).

اللّه جلَّ وعزَّ: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾[1]، والمعنى في الآية: تَبرُزُ للشَّمسِ، فتَجِدُ الحرَّ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لا يوجد في الجنَّةِ منغِّصات ولا يطرأ على أهلها عوارض ولا آفات

أشار النظمُ الكريم إلى أنَّ في الجنَّة أنواعًا من المعايش، لا ينغِّصُها جوع، ولا يكدِّرها عري، ولا يوجد فيها عطش، ولا أذيَّة فيها من الحرِّ، ويتبيَّن الفرق بين نعيم الجنَّة، ونعيم الدُّنيا: أنَّ الأوَّل خالدٌ دائم، لا عناء فيه، وأنَّ الثّاني مؤقَّت فانٍ، مقرون بأنواع المتاعب والمخاطر والعوارض، وعليه فإنَّ لك - يا آدَمُ - على اللّه أن يُطعمك في الجنَّة، فلا تجوع فيها، ويكسوك، فلا تعرَى عن اللِّباس، وأن يسقيَك فلا تَعطَشُ في الجنَّةِ، ويظلُّك، فلا يصيبك حرُّ الشَّمس، ولايُؤذيك حَرُّها[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصل جملة افتتاح الآية عمّا قبلها:

تعليلُ النَّهي عن طاعة إبليس المفضية إلى الإخراج من الجنَّة

جملةُ ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ تَعْليلٌ لِلشَّقاءِ المُتَرَتِّب على الخرُوجِ مِنَ الجَنَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا كانَ مُمَتَّعًا في الجَنَّةِ بِرَفاهية العَيشِ، مِنْ مَأْكَلٍ ومَلْبَس ومَشْرَب واعْتِدالِ جَوٍّ يناسِب المِزاج؛ كانَ الخُرُوجُ مِنْها مُقْتَضيًا فِقْدان ذلك[4]، وفُصِلت هذه الجملةُ عمّا قبلها؛ لأنَّها جاءت في جواب سؤال مقدَّر، مفاده: إن دخل آدمُ الجَنَّة، ولم يطع إبليس، فلم يخرج منها؛ أَلَهُ فيها ما يأكل؟ أَلَهُ فيها ما يلبس؟ أَلَهُ فيها ما يشرب؟ أَلَهُ فيها ما يستظلُّ به؟ فأُجيب بما ذُكِرَ، فالجملةُ تعليل لما

(1) ابن قتيبة، غريب الحديث: 1/ 564.
(2) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 283، وابن الجوزيّ، تذكرة الأريب، ص: 233.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 16/ 187، والشِّنقيطي، أضواء البيان: 4/ 107، وجماعَةٌ من علماء التَّفسير، المُخْتَصَر في تفسير القرآن الكريم، ص: 320.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 16/ 322.

يوجبه النَّهي عن طاعة إبليس الَّتي ستؤدّي بهما إلى الإخراج من الجنَّة، وإلى الشَّقاء في الدُّنيا[1].

سِرُّ الإفرادِ في خطاب آدم ﷺ دون حواء:

بيانُ أنَّ آدمَ هو المقصود الأوَّل بالخِطاب وأنَّ حواء تبعٌ له

وجهُ إفرادِه ﷺ بما ذُكِرَ؛ لكونه هو المقصودَ الأوَّل بالخِطاب، والقِصَّةُ مدارُها عليه، وأنَّ حواءَ تابعةٌ له في ذلك[2]، "ثمَّ خصَّص بقوله: ﴿فَتَشۡقَىٰٓ﴾، من حيثُ كان آدم هو المخاطَب أوَّلًا، والمقصود في الكلام، وقيل: بل ذلك لأنَّ الله تعالى جعل الشَّقاء في معيشة الدُّنيا في حيز الرِّجال"[3]، ولا شكَّ أنَّ التَّخصيص بشقاء آدم، هو تبريزٌ لدور الرَّجل في الكفالة والإنفاق، ورعاية البيت، والحفاظ على كيان الأسرة، وهو ملمحٌ نوَّه به القرآنُ كثيرًا علَّةً لهذه المفاضلة الحكيمة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النّساء:34].

بلاغةُ تكرارِ التَّوكيد في قوله: ﴿إِنَّ﴾ و﴿وَأَنَّكَ﴾:

يـقـيـنُ دوام النِّعم في الجنَّة يبعث الطُّمأنينةَ في نفس آدم

أُكِّدَتِ الجُملةُ بـ﴿إِنَّ﴾ في قوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ﴾ المكسورةِ، و(أنَّ) المفتوحةِ في قولِه: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ﴾، وبلاغةُ التَّوكيد هُنا: ليس لأنَّ آدم ﷺ كان شاكًّا في وعد الله له، وإنَّما كان هذا من قبيل تقوية يقينه، بأنَّ هذه النِّعم دائمةٌ له في الجنَّة، لبعث الطُّمأنينة في نفسه، في مقام التَّحذير من وسوسة إبليس له، ذلك أنَّ النَّفس عندما تُخوَّف من أمرٍ، مع بيان ما يترتَّب عليه من عواقبَ، تكون أقربَ للانقياد، وأشدَّ حرصًا على الأخذ بما خوطبت به، بخلاف ما لو خلا التَّحذير من بيان هذه العواقب[4].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 391، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 580، والطَّنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 9/ 160.

(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 45 - 46.

(3) ابن عطيَّة الأندلسيُّ، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 4/ 67.

(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 46، وابن عاشور، التّحرير والتَّنوير: 16/ 324.

توجيه القراءات الواردة في ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ﴾:

الاستئناف للتأكيد على الحكم، والعطف لمشاركته مع غيره

قرأ نافع وأبو بكر بكسر الهمزة: ﴿وَإِنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ﴾، على الابتداء بها، فاستأنف ولم يعطف. فالمعنى: (إن لك يا آدم عدم الجوع وعدم الظمأ). وقرأ الباقون بالفتح، على العطف على اسم ﴿إِنَّ﴾ في قوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ﴾، فردّه على قوله: ﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾، يريد: (وأنك لا تظمأ) فردّه على المعنى لا على اللفظ[1]. فالاستئناف كان للتأكيد على الحكم من أن آدم ﷺ لن يظمأ في الجنة. وأتت الجملة المعطوفة للاشتراك في الحكم السابق، رافعة توهما قد يقع: آدم لن يجوع في الجنة، فقد يقول قائل: إذن قد يعطش! فأزالت الجملة المعطوفة هذا التوهم.

دلالةُ تكرار النَّفي بالأداة (لا) في الآيتين:

المُبالغة في التَّرغيب في الجنَّة والتَّرهيب من وسوسةِ الشَّيطان

النَّفيُ في قوله: ﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾، و﴿وَلَا تَعۡرَىٰ﴾، و﴿لَا تَظۡمَؤُاْ﴾، و﴿وَلَا تَضۡحَىٰ﴾، وهو من باب التَّقييد بالنَّفي، وبلاغةُ التَّعبير بصيغة النَّفي تتجلّى في كون المقام هُنا مقامَ ترغيبٍ في التَّمسُّك بالجنَّة، وترهيب من الانسياق وراء وسوسةِ الشَّيطان، ناسبَ أن تأتي الآية بهذه الصِّفات المنفيَّةِ أكثر من إثبات عكسِها، فجاء التَّرغيب في الجنَّة بإثبات هذه النِّعَم المُهيَّأة له فيها، فاجتماع أسباب الرّاحة فيها، ممّا يُوجب المُبالغة في الاهتمام بتحصيل مبادئ البقاء فيها، وبالجدِّ في الانتهاء عمّا يؤدّي إلى الخروج عنها[2]، وفُهِمَ التَّرهيبُ من جهة أنَّ الخروج منها يستلزم الحرمانَ من هذه النِّعم بلا شكٍّ، فذُكِرَ ذلك لآدم بلفظ النَّفي، لنقائضها الَّتي هي الجوع والعُري والظَّمأ والضَّحو، ليطرق سمعه بأسامي أصناف الشِّقوة الَّتي حذَّره منها، حتّى يتحامى السَّبب الموقع فيها كراهة لها[3].

(1) ابن خالويه، الحجة، ص: 247، ومكي بن أبي طالب، الكشف: 2/ 107، وابن الجزري، النشر: 2/ 322.

(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 46.

(3) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 92.

بديعُ قطْعِ النَّظيرِ عن النَّظيرِ في الآية الكريمة:

توفيةُ مقامِ الامتنان حقَّهُ بتعداد النِّعم دفْعٌ لتوهُّم اتِّحادها عند اقترانها

قَرَنَ النَّظمُ البَديعُ بَين انتفاءِ الجُوعِ واللِّباسِ في قَوْله: ﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ﴾، وقَرَنَ بَينَ انتفاءِ الظَّمَأ وألَمِ الجِسمِ في قَوْله: ﴿لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ﴾؛ لِمُناسَبَةٍ بَينَ الجُوعِ والعُري في أنَّ الجُوعَ: خُلُوُّ باطِنِ الجِسمِ عَمّا يَقيه تَألُّمُهُ، وذَلِكَ هُوَ الطَّعامُ، وأنَّ العُريَ: خُلُوُّ ظاهِرِ الجِسمِ عَمّا يَقيه تَألُّمُهُ، وهُوَ لَفحُ الحَرِّ وقرص البرد، ولمناسبة بَينَ الظَّمَأ وبَينَ حَرارَةِ الشَّمسِ في أنَّ الأوَّلَ ألَمُ حَرارَةِ الباطِنِ، والثّاني ألَمُ حَرارَةِ الظّاهِرِ، فهَذا اقتَضَى عَدَمَ اقترانِ ذِكرِ الظَّمَأ والجُوعِ، وعَدَمَ اقترانِ ذِكرِ العُري بِألَمِ الحَرِّ، وإن كانَ مُقتَضَى الظّاهِرِ جَمعَ النَّظيرَينِ في كِلَيهِما؛ إذ جَمعُ النَّظائِرِ من أساليبِ البَديعِ في نَظمِ الكَلامِ بِحَسَبِ الظّاهِرِ لَولا أن عَرَضَ هُنا ما أوْجَبَ تَفريقَ النَّظائِرِ[1]، وما حدث هُنا هو ما يسمّيه البلاغيُّون: قطْعَ النَّظيرِ عن النَّظير، وهو لا يُستساغ إلّا إذا اشتمل على فائدة.

وما يجيء على سياق النظم في وهم المتوهّم من القول بملاءمة اقتران الجوع مع الظمأ، والتّعرّي والتضحّي، فإنّما هو نظرٌ لا يرقى إلى بلاغة القرآن وعميق معناه، وقد ذُكِرَت في حكمةِ الجمع بين هذه الأوصاف – مع ما فيها من قطْعِ النَّظير عن نظيره – أقوالٌ: منها ما ذَكَرَه أبو السُّعود، بقوله: "فصْلُ الظَّمأ عن الجوع في الذِّكْرِ، مع تجانُسهما وتقارنِهما في الذِّكر عادةً، وكذا حالُ العُرْي والضَّحْو المُتجانسين، لتوفية مقام الامتنان حقَّه بالإشارة إلى أنَّ نفي كلٍّ واحد من تلك الأمور نعمةٌ على حيالها، ولو جُمع بين الجوعِ والظَّمأ؛ لرُبَّما تُوهِّم أنَّ نفيَهما نعمةٌ واحدةٌ، وكذا الحالُ في الجمع بَيْنَ العُرْي والضَّحْوِ، ولزيادةِ التَّقريرِ بالتَّنبيه على أنَّ نفْيَ كلِّ واحدٍ مِنَ الأُمورِ المذكورةِ مَقصودٌ بالذّاتِ، مَذكور بالأصالةِ، لا أنَّ نفْيَ بعْضِها مَذكور

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 321 - 322.

بطريقِ التَّبعيةِ، لنفْيِ بعْضٍ آخَرَ، كما عسى يُتَوهَّمُ لو جُمِعَ بين كلٍّ منَ المُتجانسَينِ"[1].

التَّنبيهُ على أنَّ الأوَّلَين أصلان، والأخيرَين مُتمِّمان:

وضْـعُ الألـفـاظِ في مـوضـعـهـا من السّياق من فصيح البيان

في قطع النَّظيرِ تنبيهٌ على أنَّ الأوَّلَين - أي: الشِّبع والكسوة - أصلان، وأنَّ الأخيرَين - أي: الظمأ والتضحّي - مُتمِّمان، فالامتنان على هذا أظهرُ، ولذا فرَّق بين القرينتين، فقيل: ﴿إِنَّ لَكَ﴾ و﴿وَأَنَّكَ﴾، وأيضًا رُوعيَ مُناسبة الشِّبَع والكسوة؛ لأنَّ الأوَّل يكسو العظام لحمًا، وأمّا الظَّمأ والضُّحى؛ فمن وادٍ واحد، على أنَّ في هذه الآية سرًّا زائدًا على ما ذُكِرَ، وهو قَصْدُ تناسب الفواصل، ولو قُرن الظَّمأ بالجوع، فقيل: (إنَّ لك ألّا تجوع فيها، ولا تظمأ)؛ لانتثر سلك رؤوس الآي[2]، وقد ذكر الشهاب الخفاجي ذلك، فقال: "قيل: إنَّه عدل عنه تنبيهًا على أنَّ الأوَّلَين - أعني: الشبع والكسوة - أصلان، وأنَّ الأخيرين متمِّمان، فالامتنان على هذا أظهر، ولذا فرَّق بين القرينتين، فقيل: ﴿إِنَّ لَكَ﴾، و﴿وَأَنَّكَ﴾، وأيضًا رُوعيت مناسبة الشَّبع والكسوةِ؛ لأنَّ الأوَّل يكسو العظام لحمًا، وأمّا الظمأ والضحى؛ فمن وادٍ واحد، وهذا الثاني هو ما أشرنا إليه، وقيل: إنَّ الغرض تعديدُ هذه النعم، ولو قرن كلًّا بما يُشاكله؛ لتُوهِّم المقرونان نعمةً واحدة، مع قصد تناسب الفواصل، والأحسن ما قلناه، وعدمُ التناسب غيرُ مسلم"[3].

سِرُّ الإضمارِ بعد الأفعالِ الأربعة:

عـلَّـةُ التَّـصـريـحِ بـالأفـعـال مع إفـادة تعـظـيمِ الجَنَّة، وما فيها من النِّعَمِ الأثيرة

أشارَ النَّظمُ الكريمُ إلى الجنة بالضمير، ولم يصرِّح بها في قوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾، أي: في الجنَّة، وكذا الحالُ في ما بعده من الأفعال، وسببُ هذا الإضمار أنَّه جاء التَّصريح بها أوَّلًا:

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 46.
(2) القاسمي، محاسن التَّأويل: 7/ 151.
(3) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 6/ 229.

﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾، بالإضافة إلى أنَّ الإضمارَ هُنا، فيه تعظيمٌ للجَنَّة وما فيها من النِّعم المذكورة، والمقامُ هنا مقامُ تعداد ما فيها من نعم، وذكرُها بالإضمار والتصريح بالنِّعم فيه تفخيمٌ لشأن هذه النِّعم، مع أنَّها مذكورة لكنَّ كيفيَّتها لا تحيط بها العقول، ولا تدركها الأفهام، وذلك كقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة: 17][1].

سِرُّ تكرارِ الجارِّ والمجرور ﴿فِيهَا﴾ بعد النَّفي:

بيانُ أنَّ الجنَّة ما خُلِقَت إلّا للتَّنعُّم، والتَّعريض بالدُّنيا وحقارتها

في تكرارِ لفظةِ ﴿فِيهَا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ﴾، وإخراجها في صيغة النَّفي مكرَّرة الأداة تنويهٌ بعظمتها وشأنها، وإيماء إلى التَّعريض بأحوال الدُّنيا، وأنَّه لا بدَّ من مقاساتها فيها؛ لأنَّها خُلِقَت لذلك، وأنَّ الجنَّة ما خُلِقَت إلّا للتَّنعُّم، ولا يُتَصَوَّر فيها غيره[2].

نُكتةُ العدولِ عن التَّصريح بالنِّعم إلى نفي نقائضها:

التَّذكيرُ بالأُمورِ المُنكَرةِ والتَّنبيهُ على ما فيها من شقوة

العُدولُ عن التَّصريح بأنَّ له ﷺ فيها تَنعُّمًا بفُنونِ النِّعم، مع أنَّ فيه من التَّرغيبِ في البقاءِ فيها ما لا يَخفى، إلى ما ذُكِرَ من نفْيِ نَقائضِها الَّتي هي الجوعُ والعطشُ، والعُرْي والضُّحيُّ، لتَذكيرِ تلك الأُمورِ المُنْكَرةِ، والتَّنبيه على ما فيها من أنواعِ الشِّقوةِ الَّتي حَذَّرَه منها؛ ليُبالِغَ في التَّحامي عن السَّببِ المُؤدّي إليها، على أنَّ التَّرغيبَ قد حصَلَ بما سُوِّغَ له من التَّمتُّعِ بجَميعِ ما فيها، سِوى ما استُثنيَ من الشَّجرةِ، حسَبَما نطَقَ به قولُه تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ [البقرة: 35]، وقد طُوِيَ ذِكْرُه هَهُنا؛ اكتفاءً بما ذُكِرَ في مَوضعٍ آخرَ، واقتُصِرَ على ما ذُكِرَ منَ التَّرغيبِ المُتضمِّنِ التَّرهيبَ[3].

---

(1) البروسويّ، روح البيان: 5/ 436، وابن عجيبة، البحر المديد: 3/ 426.

(2) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 580.

(3) الكشّاف، الزَّمخشري: 3/ 92، والبيضاوي، أنوار التَّنزيل: 4/ 41، وأبو حيّان الغرناطي: 7/ 390.

سِرُّ تخصيصِ المذكورات الأربع:

جمعَ اللّه تعالى في ما ذكره من النِّعَم (الطَّعام والشَّراب والكِسوة والمَسكَن) لآدَمَ عليه السلام أصولَ كَفافِ الإنسانِ في مَعيشتِه، إيماءً إلى أنَّ الاستكفاءَ منها سيكونُ غايةَ سَعيِ الإنسانِ في حياتِه المُستَقبلية؛ لأنَّ الأحوالَ التي تُصاحِبُ التَّكوينَ تكونُ إشعارًا بخصائِصِ المُكَوَّن في مُقَوِّماتِه[1].

الاستكفاءُ من هذه الأربعة سيكونُ غايةَ سَعيِ الإنسانِ في حياتِه المُستَقبلية

بديعُ المُقابلة المعنويَّة في الآيتين الكريمتين:

في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ﴾، مُقابَلةٌ مَعنويَّة حسَنَةٌ، فالجوعُ خُلُوُّ الباطِنِ، والتَّعرّي خُلُوُّ الظّاهِرِ، فهما مُتناسِبانِ في المَعنى، والظمأُ: إحراقُ الباطِنِ، فهو مُوجِبٌ لحرارةِ الباطنِ، والضَّحوُ إحراقُ الظّاهِرِ؛ فهو مُوجِبٌ لحرارةِ الظّاهِرِ، فقابَلَ الخُلوَّ بالخلوِّ، والإحراقَ بالإحراقِ، واقتَضَتِ الآيةُ نفيَ جميعِ الآفاتِ ظاهِرًا وباطِنًا[2]، قال الكفويُّ: "جاءَ بالجُوعِ مَعَ العري، والضُّحَى مَعَ الظَّمأ، وباب الجُوع مَعَ الظمأ، والضُّحَى مَعَ العري، لَكِنَّ الجُوعَ خلوُّ الباطِن، والعريَّ خلوُّ الظّاهِر، فاشتركا في الخُلُوِّ، والظَّمأ احتراق الباطِن، والضُّحَى احتراقُ الظّاهِر، فاشتركا أيْضًا في الاحتراق"[3].

اقتضاءُ الآيتين نفيَ جميعِ الآفاتِ عن أصحاب الجنَّة ظاهِرًا وباطِنًا

فائدة التخصيص في قوله: ﴿وَلَا تَضۡحَىٰ﴾:

ذِكر العريّ في قوله: ﴿وَلَا تَعۡرَىٰ﴾ شاملٌ لكلّ تكشّفٍ للجسد على أيّ مؤثر خارجيّ؛ والتّضحّي جنسٌ من أجناس التعرّي وهو منه في المعنى، وذلك أنّ التضحّي تكشّفٌ للشّمس في أكثر أوقاتها سطوعًا، لكنّ ذكر التضحّي تخصيص يعرّج على حالة واصفة للجنّة بأنها

لا يذوقون فيها شمسًا ولا زمهريرا

(1) تفسير ابن عاشور: 16/ 322.
(2) أبو حيان، تفسير أبي حيان: 7/ 391، وابن القيم، بدائع الفوائد: 3/ 240.
(3) الكفويُّ، الكليّات، ص: 292.

لا شمس فيها، والانتقال من الأعمّ إلى الأخصّ بلاغةٌ، لاختصاص الأخصّ بما لا يوجد في الأعمّ[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الجُوع والمخمصة والمسغبة:

الجوع في اللُّغة: ضدُّ الشِّبَع، وهو الألم الَّذي يصيب الإنسان بسبب خُلُوِّ المعدة من الطَّعام[2]، والمخمصة في اللُّغة أصلها: الضُّمور، وتُطلَق على الجوع الشَّديد الَّذي يُورِّث خَمصَ البطن[3]، أي: ضُموره، وفي حديث جابر ﷺ قال: "رأيت بالنَّبيِّ ﷺ خَمصًا شديدًا"[4]، أمّا المسغبة في اللُّغة؛ فهي الجوع مع التَّعب[5].

الجوعُ ألمٌ بسبب خواء البطن، والمخمصة ظهور أثر الجوع عليها، والمَسْغبَةُ أشدُّ أنواع الجوع

فهكذا تتدرَّج معاني هذه الألفاظ المُتقاربة، فأهْوَنُها الجوعُ، وأشدُّ منه المخمصة، أمّا المَسْغبَةُ؛ فهي أشدُّ أنواع الجوع، وما يصاحب ذلك من ضعفٍ وإعياءٍ وتعب، وقد راعى الاستعمال القرآنيُّ هذه الملامح الدَّلاليَّة المتميزة للكلمات الثَّلاث؛ فقد ورد لفظ (الجوع) في القرآن الكريم خمس مرّات، فجاءت كلمة (الجوع)، للتَّعبير عن أيِّ شيءٍ من الإحساس بالجُوع، ولو كان يسيرًا؛ ولذا عُبِّر بقوله تعالى: ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ﴾ [البقرة: 155]، أي: بقليل من كلِّ واحدٍ من هذه البلايا[6]، ووردت في نفي الجوع والعُرْي في الجنَّة في آية طه، ومعنى هذا أنَّ الجوع شيءٌ يسير، فالمُراد بيانُ سعادة أهل الجنَّة، ونفي الشَّقاوة عنهم، حتَّى لو كانت شيئًا يسيرًا من الجوع.

وأمّا المخمصة؛ فقد وردت في القرآن الكريم مرَّتين، وعُبِّرَ

(1) ابن أبي الإصبع، بديع القرآن، ص: 140.
(2) الرّاغب، المفردات: (جوع).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خمص).
(4) البخاري، الجامع الصحيح، الحديث رقم: (4102)، ومسلم، صحيح مسلم، الحديث رقم: (2039).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سغب).
(6) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 1/ 207.

بالمخمصة في موطن الجوع الشَّديد الَّذي يُورِث ضمور البطن، وذلك في حال الاضطرار الشَّديد، وقد كانت بلاد العرب قليلةَ الأقوات، معرَّضةً للمخمصة عند انحباس الأمطار، أو في شِدَّة كَلَبِ الشِّتاء، فلم يكن عندهم من صنوف الأطعمةِ، ما يعتاضون ببعضه عن بعض، كما طفحت به أقوالُ شعرائهم[1].

وأمّا المسغبةُ؛ فوردت في القرآن الكريم مرَّة واحدة، وذلك في قول الله ﷻ: ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥﴾ [البلد:14- 15]، عُبِّر بالمَسغبة هُنا تفسيرًا لكلمة ﴿ٱلۡعَقَبَةُ ١٢﴾ [البلد: 12]، وهي فكُّ رقبة، ثمَّ الإطعام في يومٍ ذي جوع شديد، يصاحبه تعبٌ وإعياء، حين تعِزُّ الأقوات، وتَشِحُّ بها النُّفوس، فالإطعام في ذلك اليوم أفضل، وهو العقبة، ودون العقبة مصاعدُ متفاوتة، ويمكن الاستئناس لهذا التَّفسير للمسغبة بأنَّها جاءت مقترنة بالمَتْرَبة؛ وهي ألّا يجد الإنسان شيئًا فيلتصق بالتراب[2].

ونخلص ممّا سَبَقَ إلى وجود تقارب دلاليٍّ بين ألفاظ الجوع والمخمصة والمسغبة، فجميعُها تشترك في معنى الإحساس بخُلُوِّ المعدة من الطَّعام، وتتميَّز المخمصةُ، بظهور أثرِ الجوع على المظهر الحِسّي للبطن، بينما تتميَّز المسغبةُ بالتَّعب المُصاحب للجوع، فهي وصفٌ لأثر الجوع على النَّفس[3].

(1) ابن عاشور: التَّحرير والتَّنوير: 6/ 108.

(2) محمّد داود، معجم الفروق الدّلالية، ص: 191.

(3) السَّمين الحلبيّ، الدُّر المصون: 11/ 10، وابن عاشور: التَّحرير والتَّنوير: 30/ 358، ومحمّد داود، معجم الفروق الدّلالية، ص: 192.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»